السـوفيـاتي عموماً. كذلك ليس المقصود ان الاتحاد السوفياتي كان مخدوعاً بالنسبة الى الحركة الصهيونية. لقد كان ستالين بالذات عدوّاً لدوداً للحركات اليهودية العنصرية، ولا تخفى عليه، حتماً، الطبيعة العنصرية والاستعمارية ـ الاستيطانية للصهيونية، ولا الاستخدامات الأمبريالية الدولية لها. اضافة الى ان القيادة السوفياتية كانت تعرف، حتماً، ان حرب الدول العربية لم يكن هدفها ازالة اسرائيل، ولم تكن تلك القيادة من السذاجة كي تظن ذلك، أو كي تعتقد بسلمية اسرائيل، ولو بمعيار قرار التقسيم الرقم ١٨١.

من الصعب تفسير ذلك الموقف من دون ان يحصل المرء على وثائق كافية. لكن يمكن ان يوجد بعض التفسير في كواليس مؤتمر يالطا، الذي حدّد، في حينه، الخرائط الجيو ـ بوليتيكية، ومن الجملة كان الشرق الأوسـط فيـه من حصة الغرب. ربما، أيضاً، كان من جملة العوامل المؤثرة في الموقف السوفياتي القوة النسبية التي تتمتع بها الولايات المتحدة الاميركية، وحاجة الاتحاد السوفياتي الى التقاط الأنفاس، لا سيما ان القيادة السوفياتية كانت تعرف الوزن الصهيوني في صنع القرار لدى السيـاسة الأميركية؛ وان الولايات المتحدة الاميركية كانت تمتلك، حينئذ، القنبلة الذرية، التي لم يمتلكها الاتحاد السوفياتي، إلّا في العام ١٩٤٩[١٠]. ربما يدخل في الاعتبار، أيضاً، كون الاستيطان الصهيوني الجديد يمكن ان يحمل معه، تدريجياً، «الحضارة» و«الماركسية ـ اللينينية» الى منطقة «خـاملة» منغلقـة على التبعية لبريطانيا؛ أو ان يحمل معه التناقض الذي يهزّ المنطقة، ويساعد في اندفاعة القوى التقدمية فيها.

يجب ان توجـد تفسـيرات اكثـر دقّـة، وغير مكتفية بالعموميات، وغير مبنية على الاندفاعات العاطفية، للتأييد الذي تمتعت، وتتمتع، به اسرائيل منذ قيامها، وقبيل قيامها، من كل حكومات العالم تقريباً. ويجب، في الوقت عينه، تحديد مسؤولية الحكومات العربية في الماضي، وفي الحاضر، بشكل موضوعي عن ذلك.

ان دفاع العرب عن أنفسهم لم يأخذ، حتى الآن، صيغة علمية، ولا يمكن ان يأخذ مثل هذه الصيغة، ما لم تتوضح صورة اسرائيل الحقيقية لدى مختلف دول العالم ذات الوزن منها، مثل دول الشمال، والنامية منها مثل دول الجنوب، بل ولدى الدول العربية ذاتها. اسرائيل تقوم بأدوار متنوعة في اميركا اللاتينية، وافريقيا، وآسيا؛ وعلى الرغم من انه يوجد، حالياً، تأييد في العالم للطرف العربي، فان هذا التأييد يبقى على السطح، ويتفادى أي مواجهة مع اسرائيل.

العموميات تفسّر بعض ذلك. ولكن هذا لا يكفي بالنسبة الى استراتيجية دفاعية عربية مبنيّة على أساس علمي، وذات منظور بعيد الأمد.

لا يمكن تفسير الموقف السوفياتي القديم، الذي مررنا عليه، بكونه ناتجاً عن التأييد للصهيونية. بالعكس، ان أدبيـات الحـزب الشيوعي الفلسطيني، التي تعود الى الثلاثينات[١١]، توضح الموقف الموصول بالموقف الأممي ضد الصهيونية.

وعلى الرغم من التناقض الظاهري بين الموقف السوفياتي القديم، وموقفه في الخمسينات بعد بناء العلاقات الجيدة مع مصر وسوريا، فإن جوهر الموقف لم يتغير: فالموقف العنصري مرفوض من كلا الطرفين، العربي والاسرائيلي، والتركيز السوفياتي هو على اقامة السلام في المنطقة. وهذا السلام تتغير ظروفه في المعالجة السوفياتية من مرحلة الى أخرى، حيث تتحسّن شروط السلام بالنسبة الى العرب، بمقـدار ما يتـوفر لديهم من الظروف الموضوعية المواتية، وتسوء هذه الشروط في الحالة المعاكسة.